

الفصل الثالث

الأنواء في القرآن

الرياح والسحاب من الظواهر المألوفة في حياتنا الإنسانية توشك ألا تغادرها، وأكثر القرآن الكريم من الحديث عنهما لأنهما مظهر من مظاهر الرحمة بالإنسان أولاً، ومظهر عظمة وقدرة ثانياً.

وقد ترافق وصف الرياح في القرآن الكريم مع وصف السحاب لأنهما متلازمان، فحركة الرياح سبب لحركة السحب في السماء.

بدأ وصف الرياح في سورة المرسلات التي صورت في بدايتها حركة الرياح المرسلة، تلك الرياح التي تعصف بالسحب فتشرها في الجو ثم تمزقها وتوصلها وتحيلها فرقاً تبشر بالخير أو تنذر بالشر، ولتكون صورة السحاب المحمول على متن الرياح واضحة شبه القرآن الكريم حركة السحب المتتابعة في السماء عادية يعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً^(١) أثناء الجري، وبذلك شخّص بيان القرآن تلك الحركة تشخيصاً حسيّاً واقعياً مألوفاً: ﴿وَالْمُرْسَلَتْ عُرْفًا ۝١﴾ فَالْعَصْفَتْ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشِيرَتْ فَرْقًا ۝٣ فَالذَّرِيَّتْ ذَرَاكَ ۝٤ [المرسلات: ٤-١]

وفي سورة الذاريات وصف آخر للرياح التي تذرّو التراب وغيره لشدة عدوها، ثم تقل السحاب محملاً بالأمطار وتجري بها في الجو جرياً سهلاً، وتقسم الأمطار بتصريفها السحب هنا وهناك: ﴿وَالذَّرِيَّتْ ذَرَاكَ ۝١﴾ فَالْحَمِيلَتْ ۝٢ وَقَرًا ۝٣ فَالْجَزِيَّتْ يُسْرًا ۝٤ فَالْمَقِيمَتْ أَمْرًا ۝٥ [الذاريات: ٤-١].

(١) تفسير النسي ٣٠٦/٥.

(٢) وجاء في تفسير القرطبي «المرسلات عرفاً» هي السحاب لما فيها من نعمة ونقمة، عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه ١٥٤/١٩.

وبذلك تدرج الوصف من هبوب الرياح، فذرو التراب والحصاء، ونقل للسحاب ثم جريه في الجو مبسوطاً، فيتوزع المطر في أرجاء الأرض^(١).

ويستمر وصف الرياح والسحاب؛ ففي سورة الفرقان شبه القرآن الكريم الرياح بالرسل - رسل البشرى - وقد انطلقت بعد احتباس تحمل السحب الثقيل لأرض الإنسان لتفيض عليها الخير، وهل هناك أحسن من الماء رسولاً إلى الأرض العطشى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

وفي سورة النمل تتكرر الصورة مرة ثانية بأسلوب إنشائي حيث تتسائل الآية عمن أرسل الرياح بعد سكونها - رحمة منه - فهل من متصرف غير الله؟: ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

وتتسع دائرة الوصف في سورة الأعراف حيث شبه بيان القرآن الرياح بالرسل المبشرين كما في سورة النمل وأضاف أن هذه الرياح حينما تمكنت نقلت السحاب الثقيل من مكان إلى آخر، فتَهطل الأمطار ويشعر سكان الأرض بالارتواء، وتبتهج الأرض وتخضر، وتدب فيها الحياة والحركة بعد السكون والخلود: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا فَقَالَا سَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ويزداد عمق هذا الوصف القرآني حين ترد آية في سورة فاطر من حيث إرسال الرياح، وإثارة السحاب، وسوقه إلى بلد ميت فتنبعث فيه الحياة بعد طول ركود: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا مَسْقُوتًا إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْفُشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

وأوسع صور للرياح والسحاب تلك التي عرضتها سورة النور التي رسمت

(١) تفسير السفي ٨٦/٥.

لوحة عريضة للسحاب الذي يزجيه الله من مكان لآخر، تسوقه رياح قوية تعمل فيه تمزيقاً وتقطيعاً، جذباً مرة ونفوراً ثانية، ثم يتراكم فوق بعضه، وتهطل الأمطار مدراراً، أو تتساقط منها جبال من برد فيصيب من أراد الله أن يصيبه، وينأى عمن لا يريد الله له ذلك، وفيه نور خاطف يوشك أن يذهب ببصر الإنسان، على هذا النحو وصفت السحب في السماء وصفاً واقعياً حسياً مغلفاً بتساؤل عمن وراء تلك الظواهر الكبرى التي يقف البشر عندها عاجزين: ﴿أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمُ وَكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا جِبَالًا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَآ بُرْقِقُهُ يُذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣].

وفي سورة الروم يعرض بيان القرآن لوحة فنية يتملأها الخيال ويتنقل بين أطرافها الفكر متاملاً. لوحة إرسال الرياح، فإثارة السحاب، ثم بسطه في السماء، وجعله مترامكماً، فيخرج المطر من خلاله ويتابع تهاطله إلى الأرض فيبشر به الياثسون وتحيا الأرض بعد موت^(١): ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُمُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

وهكذا يتبدى أن الوصف يستهدف الإيضاح ولا يقصد الوصف الفني هدفًا بل واحدة من وسائله التي يجسد بها الحقائق الكونية ويشير التفكير فيها.

بعد أن رسم القرآن الكريم لوحة عريضة لماء السماء كيف ينشأ ويساق ويهطل ويغيث... تتوقف آيات أخريات لتصف عملية سقوط الماء نحو الأرض وصفاً ينقل الواقع ويجسد الحقائق ويعيد بأسلوبه البياني صورة الماء الهائل أمام ذهن القارئ كلما تلاه ليتملأه.

في سورة عبس يوصف الماء بالهدوء والوقار أثناء نزوله، وهو لاشك مظهر قوة وعظمة فهو يصب على الأرض صباً: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥].

وفي كلمة الصب قدرة إيحائية كثيفة، فالصب متظم موزع محتمل هادف،

(١) «التصوير الفني» سيد قطب ص: ٩ بتصرف.

في كتاب الله فأجمل ما يكون ما كان. ومن أمثلة ذلك كتاب الله كله، ولننظر في مجال الأمطار، فالأمطار حادثة مألوفة تقع في مواسم معروفة، لا يثير سقوطها عند كثير من الناس أي اهتمام إلا بمقدار ما يتأثرون بها حين تبتل ملابسهم، لكن القرآن الكريم ربط هذه الأحداث الطبيعية بمنظومة الكون الكبرى، وأنها تسير على وفق قوانين مسخرة، ففي سورة السجدة يصف بيان القرآن سقوط المطر، ويرسم لوحة واسعة... فهاهو ذا الماء يساق في السماء سوق القطيع من النعم على سطح الأرض، فالماء في سحابه يساق إلى بلاد عطشى للحمى، فيهطل وينبت الخير، وهذه الصورة التي تثيرها الآيات غنية بالجزئيات التي تكمل ما نقص في ذهن القارئ من رياض الحياة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

وفي سورة الزمر تتسع صورة الماء الهائل من السماء وتغتني، فالماء يسلك في ينابيع الأرض، ويساق في جوف الأرض ليتدفق من أنحائها ويحليها جنائن خضراء ذات ألوان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزمر: ٢١].

وهكذا ترفد آيات القرآن الوصفية بعضها بعضاً لإتمام صورة الماء ودورته في الطبيعة بأسلوب فني يعمد إلى إثارة الخيال والفكر لاستيعاب الحقائق، وفي سورة المؤمنین ينقلب الماء مخلوقاً حياً يسكن أعماق الأرض، لكنه في قبضة الحق مشدوداً إليه يسير كما يراد له^(١): ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(١) تفسير ابن كثير ٢٤٢/٣.

مصادر البحث ومراجعته

- ١- الإنتقان في علوم القرآن
لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي المتوفى ٩١١ هـ وبالهامش إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني - المكتبة الثقافية بيروت لبنان عام ١٩٧٣ م في مجلد واحد.
- ٢- أثر القرآن في تطور النقد العربي
للدكتور محمد زغلول سلام - الطبعة الثانية عام ١٩٥٢ م.
- ٣- أحسن الحديث
للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - منشورات المكتب الإسلامي بدمشق - بلا تاريخ.
- ٤- أساس البلاغة
لجاء الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر بيروت عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- ٥- الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية
لأحمد الشايب - الطبعة الخامسة، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية.
- ٦- الإعجاز البياني للقرآن
رسائل ابن زريق للدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» دار المعارف بمصر القاهرة (١٩٧١ م).
- ٧- إعجاز القرآن
للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م - القاهرة.

٨- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

لمصطفى صادق الرافعي - المكتبة التجارية الكبرى بمصر - الطبعة الثانية
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٥ م. مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

٩- إعراب القرآن

للزجاج في ثلاثة أجزاء تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، وزارة الثقافة
والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة - الهيئة العامة لشؤون المطابع
الأميرية عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م.

١٠- إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن
لأبي البقاء عبد الله بن الحين بن عبد الله العُكْبَرِي (٥٣٨-٦١٦ هـ).
تصحيح وتحقيق الأستاذ إبراهيم عطوة عوض - الطبعة الأولى
(١٣٨٠-١٩٦١) شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده
بمصر.

١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل

للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي
البيضاوي - الطبعة الأولى - طبعة محمد علي صبيح ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م في
مجلد واحد.

١٢- البحر المحيط

لأثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي مطبعة
السعادة ١٣٢٨ هـ.

١٣- البرهان في علوم القرآن

لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى (١٣٧٩ هـ ١٩٧٧ م) في
أربعة أجزاء.

١٤- بلاغة القرآن

لمحمد الخضر حسين - جمع وتحقيق علي الرضا التونسي تاريخ الطبع
١٣٩١ هـ ١٩٧١ م دون ذكر اسم المطبعة.

- ١٥- التصوير الفني في القرآن
لسيد قطب، لم يذكر اسم المطبعة وتاريخ الطبعة وأية طبعة.
- ١٦- تفسير القرآن العظيم
لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه دون ذكر تاريخ الطبع في أربعة أجزاء.
- ١٧- التفسير البياني للقرآن الكريم
للدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» الجزء الأول - دار المعارف - الطبعة الرابعة (١٣٩٤-١٩٧٤).
- ١٨- تلخيص البيان في مجازات القرآن
للشريف الرضي أبي الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن الإمام موسى الكاظم المتوفى ٣٠٦ هـ - مطبعة دار المعارف بغداد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- ١٩- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن
للرمانى والخطايب وعبد القاهر الجرجاني، ذخائر العرب ١٦، تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول - دار المعارف بمصر بدون تاريخ.
- ٢٠- الجامع لأحكام القرآن
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٣٦) الطبعة الأولى.
- ٢١- الجمان في تشبيهات القرآن
لعبد الله بن باقيا بن داود البغدادي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، والدكتور عدنان زرزور - المطبعة المصرية الكويت ١٣٨٧ هـ.
- ٢٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع
للسيد أحمد الهاشمي دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة الثانية عشرة.
- ٢٣- حسن البيان في تفسير مفردات من القرآن
للأستاذ محيي الدين الخاني، مطبعة الترقى بدمشق عام ١٣٤٢ هـ.

٢٤- دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن
للدكتور محمد عبد الله درّاز - تعريف وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الصبور
شاهين مراجعة الدكتور محمد بدوي. مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى عام
١٩٧٣ بيروت دار البحوث العلمية.

٢٥- دلائل الإعجاز في علم المعاني
لعبد القادر الجرجاني - ناشر الكتاب السيد محمد رشيد رضا - الطبعة الثانية
بمطبعة المنار عام ١٣٣١ هـ.

٢٦- شطحات مصطفى محمود في تفسيراته المعاصرة للقرآن الكريم
لعبد المتعال محمد الجبري - مطبعة دار الاعتصام.

٢٧- الظاهرة القرآنية
لمالك بن نبي، تقديم محمود محمد شاكر بدون مكان الطبع أو تاريخه.

٢٨- عروس الأفراح في شرح المفتاح
لبهاء الدين السبكي المصري - المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق عام
١٣١٧ هـ. ومعه مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح ومعه
حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني.

٢٩- غرر الفوائد ودرر القلائد
للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ
١٩٥٤ م.

٣٠- فن الشعر
للدكتور إحسان عباس - دار الثقافة بيروت - لبنان - طبعة ثانية (١٩٥٩ م).

٣١- في ظلال القرآن
لسيد قطب - الطبعة الأولى في ثلاثين جزءاً - طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه دون ذكر تاريخ الطبع.

٣٢- القرآن: محاولة لفهم عصري
لمصطفى محمود - مطبعة دار المعارف بمصر.

- ٣٣- القرآن والتفسير المصري
للدكتورة بنت الشاطيء - دار المعارف بمصر ١٩٧٠ سلسلة اقرأ في العدد
رقم (٣٣٥).
- ٣٤- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن
للشيخ نديم الجسر. توزيع دار العربية منشورات المكتب الإسلامي - بيروت
الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م.
- ٣٥- قصص الأنبياء
للأستاذ عبد الوهاب النجار الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي بيروت
- بدون تاريخ.
- ٣٦- كبرى المصيبات الكونية: وجود الخالق ووظيفة المخلوق
للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - مطبعة دار الفكر - دمشق - الطبعة
الأولى (١٩٦٩).
- ٣٧- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل الجزء الثاني
والثالث. المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٩ هـ.
- ٣٨- مباحث في علوم القرآن
للدكتور صبحي الصالح - مطبعة جامعة دمشق - الطبعة الحادية عشر عام
١٩٧٩ م.
- ٣٩- محاضرات في الفنون والمدارس الأدبية
للأستاذ الدكتور صبحي الصالح - كلية الآداب بجامعة دمشق - العام
الدراسي (١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م).
- ٤٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل
للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النفي
- نشر المكتبة الأموية - بيروت ودمشق - مطبعة الغزالي حماء في خمسة
أجزاء دون ذكر تاريخ الطبع.
- ٤١- مروج الذهب ومعادن الجوهر
لأبي الحسن ابن الحسين بن علي المسعودي المتوفى (٣٤٦ هـ) الجزء
الأول - طبعة أولى - دار الأندلس - بيروت.

٤٢- مشاهد القيامة في القرآن

لسيد قطب - دار المعارف بمصر بدون تاريخ.

٤٣- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه

لمصطفى الصاوي الجويني - دار المعارف بمصر عام ١٩٥٩ م.

٤٤- النوادر في اللغة

لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري. مع تعاريف عليه لمصححه.

الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية. مزيعة ومنقحة

(١٩٦٧-١٣٨٧).

٤٥- اليوم الآخر في ظلال القرآن

جمع وإعداد أحمد فائز - الطبعة الأولى (١٣٩٥ - ١٩٧٥) بدون ذكر اسم

المطبعة.